اغتنام العشر الأخيرة من رمضان

الحمد لله الكريمِ المنان، المتفضلِ بالعفو والغفران، يهدي إلى الخيرات ويعفو عن الزلات ويجيبُ الدعوات، أحمده سبحانه على ما أولى من النعم، وأشكره تعالى على ما دفع من النقم، وأشهد أن لا إله إلا اللَّهُ وحده لا شريك له المتفردُ بالكمالِ والدوام، شهادةً مبرأة من الشركِ والشكوكِ والأوهام.

وأشهد أنَّ نبيَّنا محمداً عبدُه ورسوله أفضلُ الأنام، وأتقى من تهجد وقام، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه هداةِ الأنامِ، ومصابيحِ الظلام، صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الحشرِ والمقام.

أما بعد:

فاتقوا الله ربَّكم حقَّ التقوى، وأخلصوا له النية والعمل تسعدوا.

أيها المسلمون:

لقد شرفت هذه الأمة بشهر تتطهر فيه النفوس من العصيانِ والآثام، ومن نقائصِ الخصال وشوائبِ الفعال، والصالحون من عباد الله يغتنمون أزمانهم فيه بالطاعةِ وتلاوةِ القرآن، نزه الصيامُ نفوسَهم، وهذب القيامُ أخلاقَهم، وألان القرآنُ قلوبهم، شغلوا أبدانَهم بطاعةِ الله وألسنتَهم بذكره وأرواحَهم بمراقبتِه، ففازوا بالغفران ونالوا الرضوان.

عباد الله:

أيامُ رمضان تسارع مؤذنة بالانصرافِ والرحيل، وها هي ذي لياليه العشر قد حلت، فيها تزكو الأعمال وتُنالُ الآمال، تقول عائشة رضي الله عنها: «**كان النبي ﷺ إذا دخلت العشرُ الأواخر أحيا الليل، وأيقظ أهلَه، وشد المئزر**» (متفق عليه)، وقالت رضي الله عنها: «**كان رسول الله ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وفي العشرِ الأواخرِ منه ما لا يجتهد في غيرها**» (رواه مسلم). إنها سوق يتنافس فيه العاكفون، وامتحان تبتلى فيها الهمم، ويتميز أهلُ الآخرة من أهل الدنيا.

يقول الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «ما من يوم ينشق فجره إلا نادى منادٍ من الله: يا ابن آدم أنا خَلْق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني بصالح العمل فإني لا أعود».

في هذه العشر ليلة وصفها الله عز وجل بأنها مباركة أنزل في فضلها سورة تتلى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: الآية ١].

يقول النخعي ـ رحمه الله ـ: «العمل فيها خيرٌ من العمل في ألف شهر سواها». إنها تاج على رأس الزمان يقول النبي ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**» (متفق عليه).

فيها تُفتح الأبواب، ويُسمع الخطاب، ويُكتب للعاملين الجزاء، يصل فيها الرب ويقطع، يُعطي ويمنع، يَخْفِض ويرفع، تقول عائشة رضي الله عنها: «**قلت: يا رسول الله، أرأيتَ إن علمتُ ليلةَ القدر ما أقول فيها؟ قال: قولي: اللهم إنك عفوّ تحب العفو فاعفُ عني**» (رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح).

أيها المسلمون:

لم يكن النبي ﷺ يَدَع قيامَ الليلِ في سفر أو حضر، وكان يصليه قائماً وقاعداً، ويصليه على راحلته في أسفاره ولو إلى غير القبلة عملاً

بقول ربه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزمل: الآيتان ١، ٢]، لقد كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، وسار ركبُ الصحابةِ المبارك على هذا الهدي، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ [المزمل: الآية ٢٠]. وقال سبحانه: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح: الآية ٢٩].

عباد الله:

من محاسن أهل الإيمان القيامُ لله في الظُّلَم: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ [الذّاريَات: الآية ١٧]، يقول الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «كابَدُوا الليل فلم يناموا من الليل إلا قليلَه». وقيامُ الليلِ أعظمُ ما يرجى وأزكى ما يقدم في هذه العشر، وهو دليل على رجحانِ العقلِ والإيمان، وهو دأبُ الصالحينَ قبلَكم وقربةٌ إلى ربكم ومغفرةٌ للسيئات، يقول المصطفى ﷺ: «**يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**» (رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح).

أيها المسلمون:

الدعاء هو سهام الليل يطلقه القانتون، وهو حبل ممدود بين السماء والأرض، وهو الربح الظاهر بلا ثمن والمغنم بلا عناء، ومن أنفع الأدوية للداء، وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله، ويرفعُه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن ولن يهلِك مع الدعاء أحد: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: الآية ٦٢].

فاجتهد في الدعاء، وتَحَلَّ بآدابه، وأكثر من الثناء، وعظم الرجاء، فإن خزائن الله ملأى ويديه سحاء الليل والنهار لا تغيضها نفقة، وكن على رجاء الإجابة، فالمدعو هو الكريم. وللدعاء أحوالٌ وأوقاتٌ ومواطن بعضها أرجى من بعض، فاجعل لك من هذه العشر مدخراً فإنها من أنفس الذخر، وفرغ قلبك الذي طالما فرَّقْته في أوديةِ الدنيا وهمومِها، واعمل بسنة الاعتكاف في هذه الليالي المباركة اقتداءً بهدي النبي ﷺ.

أيها المسلمون:

الزكاة ركن من أركان الإسلام، ومبنى من مبانيه العظام، فيها تقوى أواصرُ المودةِ بين المسلمين، وفيها تطهيرُ النفوسِ وتزكيتُها من الشح يقول تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: الآية ١٠٣]، وهي حق واجب وفرض لازم وشريعة عادلة، فيها استجلاب البركة والزيادة والخلف من الله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبإ: الآية ٣٩].

في الزكاة سمو بالأرواح والأخلاق بالجود والسخاء، بها يكتمل العدل ويَعُمُّ الرخاء، ويسعد الفقراء، وهي حلية الأغنياء، وزينة الأتقياء ووصية الأنبياء: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: الآيتان ٥٤، ٥٥]، وفي معرض الكلام عن عيسى عليه السلام يقول تعالى: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريَم: الآية ٣١].

أداؤها برهان على صدق الإيمان، ودليل على صفة الإحسان، وسبب من أسباب نيل الرضوان، ولقد جاء الوعيد في حق من بَخِل بها يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: الآية ٣٤]. وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤدّ زكاته مُثّل له شجاعاً أقرع له زبيبتان يُطوَّقهُ يوم القيامة، ثم يأخذُ بلِهْزِمَتَيه** ـ يعني: شدقيه ـ **ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾** [آل عِمرَان: الآية ١٨٠]» (رواه البخاري).

فحصنوا أموالكم واحفظوها من الآفات بالزكاة، فإنها سبب لدفع البلاء والأسقام، ولا يغلبنكم الشيطان فإنه لكم شديد العداوة والبغضاء:

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ [البقرة: الآية ٢٦٨]. وداووا مرضاكم بالصدقة، فإنها تدفع عنكم الأمراضَ والأعراض، وابتغوا الضعفاءَ والمحاويج، وارزقوهم ترزقوا، وارحموهم ترحموا، فما اشتكى فقير إلا من تقصير غني.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على جزيلِ نعماه، وجليلِ عطاياه، أحمده سبحانه وأسأله التوفيق لما يحبه ويرضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا إلهَ غيرُه ولا ربَّ سواه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ومصطفاه، صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه واقتدى بهداه.

أما بعد:

فللوقتِ الباقي في هذا الشهر قيمتُه، وللزمن اليسير فيه قدرُه، وها أنتم تعيشون أعظمَ أيامِه فضلاً وأرفعَها قدراً وأكثرَها أجراً، فيها تصفو الأوقات وتحلو المناجاة وتُسْكَب العبراتُ بكاءً على السيئات، فكم لرب العزة من عتيق من النار؟ وكم من أسير للذنوب وصله الله بعد القطع وكُتِبَت له السعادةُ من بعد طول شقاء؟ فقدّم في أيامِ رمضانَ المباركةِ توبةً صادقة وأتبعها بعمل من الباقيات الصالحات.

واغتنموا شريف الأوقات، فما الحياة إلا أنفاسٌ معدودة، وآجال محدودة، والأيام مطاياكم إلى هذه الآجال، فاعملوا وأملوا وأبشروا، فالمغبون من انصرف أو تشاغل بغير طاعة الله، والمحروم من حرم ليلة القدر، والمأسوف عليه من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له، قال ﷺ: «**رغم أنف امريء أدرك شهر رمضان فلم يغفر له**» (رواه أحمد). فاجتهدوا في أنواع الطاعات والقربات، واعمروا أوقاتَكم وقلوبَكم وبيوتَكم بالقرآن.

اقرؤه بالليل والنهار، وعلموه أولادكم من البنينَ والبنات، أشغلوا أوقاتَهم به، علموهم بأنفسكم إن كنتم قادرين وإلا فالحقوهم بحلق القرآن في المساجد، وأنفقوا من أوقاتِكم وأموالِكم على تعليم أولادِكم وتحفيظهم كتاب الله، وتعاونوا مع من يقوم على ذلك من أهل اَلخير والإحسان، فما أعظم ثواب من أنفق ماله في تعلم القرآن وتعليمه.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه...